النهار
الثلاثاء 14 -06- 2022 العدد 27740

أمسية أوبرالية لقداس "سانت سيسيليا" لهايدن حمّى العشق الإلهي والجرأة في اختراق اليأس

لقطة من الحفل الموسيقي. (تصوير نبيل اسماعيل)

روزيت فاضل

ثمة من قال في ختام الأمسية "إننا تنقّينا في 90 دقيقة من هذا الزمن الرديء من خلال انجرافنا الطوعي الى تحفة موسيقية اوبرالية بحد ذاتها ألا وهي قداس سانت سيسيليا" لهايدن، بل نقول أكثر إننا تنقّينا من بشاعة ما يحيط بنا لسماع صلاتنا المرفوعة الى الله - كل على طريقته - خلال متابعتنا هذا القداس بقيادة متفانية للمايسترا (مؤنث مايسترو) ياسمينا صباح، التي أخذتنا الى القمة بما أنشدته جوقة القديس يوسف وعزفته الأوركسترا الفيلهارمونية اللبنانية.

مساء الجمعة الفائت شرّعت السموات أبوابها ليتحول القداس لسانت سيسيليا شفيعة الموسيقيين، دعوةً لتجديد الفرح والرجاء في وطن وقع رهينة خطايا طبقة حاكمة مستبدة.

حمل القداس الابداع الحقيقي، في جودة أداء المجموعة كلها وحمّى العشق الإلهي والجرأة في اختراق اليأس والحزن والعزلة المفروضة علينا في يوميات بيروتنا المجروحة.

عمل هايدن المغامر هو تأكيد لبراعته طبعاً، إذ يحتوي كما كتب أحد النقاد في وقت مبكر من العام 1804"على شيء مؤثر إستثنائي يتوغل في أعماق الروح".

هكذا كان القداس الذي دعا الى إيصال رسالة التجدد والفرح والرجاء. وهو ترافق بالأداء الأسمى لـ4 مغنّي أوبرا شاركوا شغف الغناء في مقاطع من هذه الذبيحة الإلهية. تتنبأ السوبرانو الألمانية الجميلة بولا يكستات، بهدوء السماء الآتية. صوتها نقي جداً لكنه قوي من خلال تحكّمها الرائع بالظلال الصوتية. أما الميزو سوبرانو سوفيا بافوني الألمانية والباس سيمون الدوس الدانماركي، فقد شاركا معاً في إنشاد مقاطع من قداس من وحي التوق الى الله والمخلّص.

بدا التأثر الشديد والاستثنائي على ملامح وجه التينور هيثم حيدر، الذي فاضت أحاسيسه ممزوجة بصوته الاستثنائي، وهو ينشد بصوت ضخم ممزوج بكثير من الخشوع "تجسد إبن الله من الروح القدس ومن مريم العذراء ليصير انساناً..."

لِم هذا القداس اليوم بالذات؟ ذكرت صباح لـ"النهار" أنه "أول نشاط موسيقي دينامي مجاني بعد جائحة كورونا"، مشيرة الى "أننا اردنا أن نثني على دور المقاومة الثقافية في الأزمات عموماً وفي الوقت الصعب الذي نمر به خصوصاً".

واعتبرت أن هذا القداس "يعزز لدى سامعيه دينامية الفرح والحب للآخرين ومعهم..."

بالنسبة إليها، "يوفر القداس فرصة للفرح كخيار رئيسي للحياة ولرفض الموت. كل واحد يتلقى هذه الرسائل على طريقته ويتواصل مع خالقه على طريقته، ومنهم من يلاقي المسيح بفرحه..."

وذكرت أن "هايدن وضع هذا العمل في بداياته لأسباب مجهولة، مع العلم أنه كتبه وهو في زيارة حج لأماكن دينية ومنها إحدى الكنائس قرب مدينة فيينا"، مشيرة الى أنه "بعد أعوام على هذا العمل، عيّن هاندل قائداً لأوركسترا عائلة اريستوقراطية هي عائلة الأمير استراهازي، وبقي في هذه المسؤولية نحو أربعين عاماً، ليبادر في تلك المرحلة الى تغيير عنوان مؤلَّفه ليصبح القداس العادي من 70 دقيقة مطعّما بموسيقى آلات النفخ الهوائية والخشبية..."

وأثنت على أهمية "جوقة جامعة القديس يوسف، والدعم اللامتناهي لها من رئيس الجامعة الأب سليم دكاش اليسوعي"، لافتة الى "أن الفرقة تضم أعضاء من ديانات مختلفة ومناطق مختلفة، يلتزمون التمارين الدورية للكورال - بمعدل مرتين في الأسبوع - رغم الأزمة الخانقة في لبنان".

وقالت: "تضم الجوقة أعضاء بعضهم من خارج الجامعة وهم هواة على طريق الاحتراف، لأن هذه المشاركة لا تشكل مصدر عيشهم الأساسي. لغالبية أعضاء الفرقة عمل يعتمدون عليه خارج سياق الجوقة، رغم أن ما يقدمونه فعلياً يدخل في خانة الاحتراف دون شك..."

ونوهت صباح بدور كل من السفارات النمسوية والألمانية والدانماركية والكندية، في دعم قدوم المغنين الأوبراليين الأربعة للمشاركة في القداس... واضافت أنها كقائدة أوركسترا "تقوم بتمارين منفصلة في بداية التحضير للقداس، أي تنطلق التمارين مع الجوقة وتليها تمارين منفصلة مع الأوركسترا ليتم في ما بعد الجمع بين الاثنين في تمارين دورية لتقديم هذا العمل".

ختاماً اعتبرت أن الموسيقى "هي الحياة التي يجب ألّا تقف عند أي عائق، رغم أننا نواجه صعوبات جمة في رصد الدعم المادي في زمن الازمات"، مشيرة الى "أننا نكثف اتصالاتنا للحصول على دعم لأننا دعاة سلام وعيش مشترك..."

rosette.fadel@annahar.com.lb
Twitter:@rosettefadel